دراسة التشابه لمفهوم الخمر في شعر حافظ وابن فارض

طالبة الدكتوراه فاطمه محمودي صالح آباد
قسم اللغة العربية وآدابها ، فرع قم ، جامعة آزاد الإسلامية ، قم ، ايران
fatemehmahmoodi.1397@gmail.com
الدكتور محمد جنتي فر(الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية وآدابها ، فرع قم ، جامعة آزاد الإسلامية ، قم ، ايران
Mjanatifar@yahoo.com
الأستاذ المساعد الدكتور سيدعلي اكبر غضنفري
قسم اللغة العربية وآدابها ، فرع قم ، جامعة آزاد الإسلامية ، قم ، ايران
Ghazanfari-akbar@yahoo.com

A study of the similarity of the concept of wine in the poetry of Hafez and Ibn Farid

Fatima Mahmoudi Salihabad
PhD student , Department of Arabic Language and Literature , Qom Branch , Islamic Azad University , Qom , Iran
Dr. Muhammad Janati Farr (Responsible Writer)
Department of Arabic Language and Literature , Qom Branch , Islamic Azad University , Qom , Iran
Dr. Syed Ali Akbar Ghazanfari
Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , Qom Branch , Islamic Azad University , Qom , Iran

الملخّص :

الخواجه شمس الدين حافظ الشيرازي احد عباقرة العالم في شعر والأدب ، وقد توهج نجمه في الأدب العالمي مثل الشمس وأضاء مسار طريق العشاق من خلال العلم والأدب ، أما أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي المشهور بـ(ابن الفارض المصري) فهو من أعظم وأشهر الشعراء الصوفية في الأدب العربي.

إن هذا البحث يظهر الدقة في شعر حافظ وابن الفارض في العديد من النواحي في محورين هما :

- اللفظ .
- المعنى .

وهذا أحد أهم أوجه التشابه بينهما فيما يتعلق بالعلاقة بين الشاعرين بالتصوف في العالم الإسلامي ، وابن عربي ، من خلال النظر في أفكارهم وتعاليمهم، وتعزى قضية التعصب وظهور النشوة في حياتهم اليومية إلى أوجه التشابه في شعرهما وشخصياتهما ، وبخاصة إشتراكهما في تفسير الخمر الذي يشكل إحدى العلامات الفارقة والرئيسية في شعر حافظ وابن الفارض ، مما أدى إلى ظهور شروحات لشعرهما ، ولا يرى النقاد في الشاعرين ، أنهما كتبا الشعر في الجانب الروحي فقط ، بل كتبا في الجوانب المادية أيضا ، وفي هذه المقالة نحاول أن ندرس أوجه الشبه لمفهوم الخمر من وجهة نظر الشاعرين .

الكلمات المفتاحية : الأدب العربي ، الأدب الفارسي، ابن الفارض ، حافظ ، الخمر .

Abstract:

Al-Khawaja Shams al-Din Hafez al-Shirazi is one of the world's geniuses in poetry and literature. His star glowed in world literature like the sun and illuminated the path of lovers' path through science and literature. As for Abu Hafs Sharaf al-Din Omar bin Ali bin Murshid al-Hamawi, known as (Ibn al-Farid al-Masry) he is one of the greatest and most famous Sufi poets in Arabic literature This research shows the accuracy in the poetry of Hafez and Ibn Farid in many aspects in two axes: pronunciation the meaning This is one of the most important similarities between them regarding the relationship between the two poets with Sufism in the Islamic world and Ibn Arabi by looking at their ideas and teachings. And the main one is in the poetry of Hafez and Ibn Farid, which led to the emergence of explanations of their poetry, and critics do not see in the two poets, that they wrote poetry in the spiritual aspect only.

Key words : Arabic literature , Persian literature , Ibn Farid , Hafez , wine .

المقدمة

إن بلاد فارس وبلاد العرب هما البلدان الجاران وهما الجيران الأقدم عمراً ، والأمتين لهما منذ زمن بعيد فكر ثقافي ولغوي متميز كان أتباع ذلك الفكر وتلك الثقافة متشابكين بشكل كبير ، ومن الملائم تماماً للبحث المقارن الذي يتناول محور (رسالة الصداقة والتفاهم بين الأمم) ، من خلال تحديد البحوث المقارنة التي تتناول مهام (رسالة الصداقة وفهم الأمم عن طريق تحديد البعد التراثي المشترك) ، (غنيمي هلال ، ٤٣ : ١٣٧٣) .

إن هناك مجالاً مناسباً جداً للدراسة المقارنة في البحث الأدبي وهو مايمكن تسميته بـ(الأدب الغامض) ، وبما أن التصوف يُعَدُّ أحد الروابط الرئيسية في ثقافات الأمم ، لذا ينبغي البحث عن ضرورة الشعر الغامض في العالم الإسلامي بين القصائد الفارسية ، لكن مع ذلك أيضا ، رغم أنه ليس لدينا شعر فارسي غامض لإيجاد أصول القصائد الصوفية الفارسية (انوار، ٧،١٣٨٠) ، إذ أن إحدى أهم سمات المتصوفين في التعبير عن الأفكار والمفاهيم الصوفية هي استخدام عنصر الرمز ؛ في الواقع ، إن الكمال المعرفي الذي يسعى إليه المتصوفة هو أمر شائع في جميع أنحاء العالم ، والحقيقة الوحيدة التي تتحدث بلغات مختلفة. (حسيني ، ٣،١٣٨٥) .

أسئلة البحث

الخمر هو كلمة أكثر من أي كلمة أخرى تُستخدم في الثقافة الصوفية وخاصة في الأدب الغامض ، لقد استخدمه المتصوفة في معناها الإفتراضي ، على رأس الحب الشعبي ، وحب الروح ، التي بواسطة رشفة منها تطهر نفسها من قلوب المنقذين وتجمد العرش من حب الحقيقة ، فالخمر في العرفان خاصة في قصائد حافظ وابن الفارض ، استخدمت كل من الرياح والمركبات المقابلة لها مع تردد كبير في المعاني الغامضة .

إن كلمة الخمر هي مجرد كلمة أدبية ، وليس معناها الحقيقي ، فابن الفارض ، في قصائده الخمرية ، تعامل مع الحكمة الغامضة من الخمر ، وبدلا من ذلك يشير إليها في تائيته الصغري ، كما أشار إليها حافظ في رموز يتم التعبير عنها بالآيات الصوفية على شكل الخمر ، فضلا عن إن حافظ الشيرازي قد استخدم هذه التركيبات في حالات مهمة قاصدا منها المعنى الحقيقي للخمرة ولكن لبناء المفاهيم الإجتماعية والسياسية

والمعرفية ، إن وجود أوجه التشابه في مفهوم الخمر هو أحد القضايا المهمة التي نوقشت في هذه المقالة .

خلفية البحث

حول الخلفية البحثية من الضروري أن نشير إلى أنه في مجال الأدب المقارن اعتمد على قصائد حافظ وابن الفارض ، دعونا نذكر بعض منها :

- الحب والسكر في شعر ابن الفارض وحافظ (زهره وند، ١٣٩٠) .
- طيف محبوب في حافظ وابن الفارض ، (نصر اصفهاني،١٣٨١) .
- موضوعات مشتركة بين حافظ وابن الفارض (راثي ،١٣٨١) .
- وحدة الأديان والتعددية الدينية في نظر حافظ وابن الفارض (نصر اصفهاني ،١٣٨٣) .

لمحة عامة عن سيرة ابن الفارض وحافظ

إبن الفارض هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ، ولد في القاهرة عام ٥٧٦ أو ٥٧٧ وتوفي في نفس المدينة عام ٦٣٢ هـ ، وجاءت نسبة ابن الفارض إلى ابنة الشيخ علي ، وفقا للحلم الذي شاهدته ، إلى قبيلة بني سعد ، وكانت عائلته تنتمي إلى مدينة حماة في أرض الشام ، درس ابن الفارض العلوم مع والده ودرس الفقه الشافعي ، ثم أخذ طريق الصوفية وقضى معظم وقته في وادي المستظرفين على الجبل الثاني من جبل المقطم قرب القاهرة ، ثم سافر إلى مكة وجاب البلدان ليعود أخيراً إلى القاهرة بعد خمسة عشر عاماً .

أما الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازي فهو واحد من أعظم شعراء القرن الثامن الهجري ، وعلى الرغم من السمعة العظيمة لهذا الشاعر عن حياة حافظ ، إلا أنه ليس لدينا معلومات مفصلة ولا سيما عن وقت ولادته ، لكن يقال انه ولد في مدينة شيراز حوالي عام ٧٢٦ هـ ، برع الخواجة في جميع العلوم الدينية والدنيوية في شبابه ، ولم ينقضِ العشرين من عمره ، ليصبح أحد مشاهير العلوم في أسرته ، خلال تلك المدة ، وفضلا عن راعته العلمية والدينية فإنه حفظ القرآن بالكامل .

كانت كلمات حافظ الشيرازي مبنية على قلمه الذي كان باللغة الفارسية ، ولعل الميزة الأبرز في كتاباته كانت الغموض ، إذ كانت لديه تقنية يختار فيها كلماته بمعانٍ متشابهة تتوافق فيها الكلمات مع معانيها وقد ظهر ذلك بشكل رائع في شعره .

مفهوم الخمر في حافظ وابن فارض

من بين العديد من أوجه الشبه الموجودة بين قصائد هذين الشاعرين ، هناك عدد كبير منها حول الخمر ، ففي هذا المجال يقول حافظ إنه يريد شرب الخمر من يد الساقي الى الأبد :

در ازل داده است ما را ساقي لعل لبت جرعه جامي كه من مدهوش ان جامم هنوز

(حافظ،١٣٦٢،٥٣٤)

ويربط حافظ بين هذه الأبدية والازلية حتى لا يغادر سكره حتى صباح يوم القيامة :

سر زمستي بر نگيرد تا به صبح روز حشر هر كه چون من در ازل يك جرعه خورد از جام دوست

(حافظ،١٤٢/١٣٦٢:١)

وشبيه لذلك يقول ابن الفارض :

مُنِحتُ وِلاهَا يومَ لا يومَ قبلَ اَن بدَت عِند أخذ العَهدِ في أوّليتي

(ابن الفارض،١٩٨٠:٤٧)

لقد اعتبر ابن الفارض أنه قد أعطي محبتها ووهبت هواها يوم لم يخلق هذا اليوم المعهود ولا ظهر هذا الزمان الموجود ، وذلك اليوم هو اليوم الدائم الذي لا ليل فيه ولا نهار ولا صبح له ولا مساء وإعطاء محبتها وحصول هواها لي قبل أن تبدو المحبوبة لي وأخذت مني العهد بقوله : « ألست بربكم » والمراد بقوله « في أوليتي » الأولية التي هي افتتاح الوجود عن العدم .

وهو يحاول أن يعطي الازلية والصورة الأبدية للخمره ، وبهذه الطريقة ، فإن مثابرته على السكر ، في ضوء هذا المثال الأبدي ، هو تبرير غامض :

وعِندي منها نَشوَة ، قبلَ نَشأتي مَعِي أبداً تبقِي ، وإن بَلَي العَظمُ

(ابن فارض،١٩٨٠،١٨٢)

الخمر من الخمر الابدي ، يقظة حقيقية

يرى الخواجة الحياة الحقيقية في حب النبيذ ، لذلك فإن الشاعر يرى أنه من المستحيل ولو للحظة من دون حبها فيقول :

اي دل مباش يك دم خالي زعشق ومستي وانگه بروكه رستي از نيستي وهستي

(حافظ،١٣٦٢،٨٦٩)

فيما يصور ابن الفارض الخمر لنا على أنه من النبيذ الإلهي وأنه يعيش من خلالها حياة يقظة وحقيقية ، لأن الحزم متعلق بها ومن لمت سكرا بذلك النبيذ الالهي فقد فاته الحزم :

فَلا عَيشَ فِي الدُّنيا لَمن عاشَ صَاحِيا وَمَن لَم يَمُت سُكرًا بِها، فاتَه الحَزمُ

(ابن الفارض،١٩٨٠:١٨٢)

ويبدو حافظ مستسلما إلى تصرفاته المضطربة بعد شربه لذلك النبيذ ، فتقع عيناه على حبيبه في سرير غمر، ولكن ذلك الاضطراب البائس لم يكن من هذا النبيذ ، فهو يرحب بحبيبه آلاف المرات :

من از چشم تو اي ساقي خراب افتاده ام ليكن بلايي كز حبيب امد هزارش مرحبا گفتم

(حافظ،١٣٦٢:٧٣٤)

ولا يمكن للشاعر هنا أن يتغاضى عن مرارة الخمرة ، بالمقارنة مع متعة في غمره ، لأنه يراها كالزهرة فعلى الرغم من شوك الورد لكن لون الزهرة والوردة ، يغطي الأذى الذي قد يصيبه من شوكها :

خار ار چه جان بكاهد گل عذر بخواهد سهل است تلخي مي در جنب ذوق مستي

(حافظ،١٣٦٢،٨)

ونهج ابن الفارض ذات منهج حافظ ، إذ أنه يجد المرارة في مزاجه في حالة سكر ، فهو قد أحب هذا النبيذ الذي صبَّ في دم الشاعر ؛ لكنه في نفس الوقت رفعه إلى أعلى منزلة في العلياء :

إذا مَـا أحَلَّـت فِـي هَواهَـا دَمِـي ذُرَي العِـزِّ والعُليـاءِ قَـدرِي أحَلَّـت

(ابن الفارض،١٩٨٠:٤٤)

ترك الخمر و غمر، يساوى بالذنب

في رأي حافظ ، يتم تقديم الطريق إلى الحانة كطريقة فقط للمشي والمباشرة ، إلى النقطة التي يعود إليها الشاعر من خطيئة لا تغتفر ، ويطلب من الخادم أن يخطئ وينظر إلى كرامته مرة أخرى ، لأن ذلك يؤدي إلى الطريق الصحيح للمعرفة :

زكوي ميكده بر گشته ام زراه خطا مرا دگر زكرم باره صواب انداز

(حافظ،١٣٦٢:٥٣٠)

فيما يرى ابن الفارض ايضاً ، وبعيداً عن المعرفة الإلهية ، أنه إن شرب النبيذ فإنه لم يركب طريق الخطأ ، وإنما سيكون آثماً إن هو ترك شرب النبيذ :

وَقَـالوا شـرِبتَ الاثـمُ كلّـا وإنّمـا شَـرِبتُ الـتي في تركهـا عِنـدي الاِثـمُ

(ابن الفارض،١٩٨٠:١٨٢)

إحترام المتسول في الحانة حب الهي

فالحانة عند حافظ هي ذات حانة المحبة الإلهية التي يأتيها المتسولون ، عند غمر وسكر ، لأنها تتحول الى موقع يتجول حوله الفلك والنجوم :

گداي ميكده ام ليك وقت مستي بين كه ناز بر فلك وحكم بر ستاره كنم

(حافظ،١٣٦٢:٧٠٠)

فيما يرى ابن الفارض أن سكرة ساعة ستبدي له الدهر عبدا طائعا وتجعل منه حاكما للدهر في ذات الوقت :

وفِـي سُـكرةِ منهـا ، ولـو عُمـرُ سَـاعَةٍ تَرَي الدَّهرَ عَبداً طائِعاً ، ولَـكَ الحُكـمُ

(ابن الفارض،١٩٨٠:١٨٢)

القضاء على الحزن

الحزن عندما يحلُّ في النفس فإن في مثل تلك الحالات سيكون الصديق الوحيد الذي لا تشوبه شائبة ، هو النبيذ النقي الذي يحفظ حافظ من الحزن ، وتشير دقة شعر الشاعر

إلى أن الخواجه الشيرازي يشير إلى أن الكثير من الحزن سيزول من خلال سكره ، ويؤكد أن معرفة الخمرة الخالصة هي وحدها التي يمكنها إزالة تأثير الحزن :

چون نقشش غم ز دور بيني شراب خواه تشخيص كرده ايم ومداوا ومقرر است

(حافظ،١٣٦٢:٩٦)

إن الخمرة عند حافظ هي مظهر من المظاهر الالهية في القضاء على الحزن ، لذلك فهو يذكر مراراً على أن الخمرة علاج للأوقات العصيبة التي يمر بها الإنسان ، فينسى من خلالها حزنه ويصرخ قائلا :

اگر نه باده غم دل زياد ما ببرد نهيب حادثه بنياد ما زجا ببرد

(حافظ،١٣٦٢،٢٦٦)

ويأخذ ابن الفارض نفس المنحى إذ يلجأ الى الخمرة للهروب من الحزن فيعيش للخمر ومع الخمر، لينسى حزنه :

وإن خَطَرَت يوماً علي خاطرِ امري أقامَت بهِ الافراحُ ، وارتحَلَ الهمُّ

(ابن الفارض،١٩٨٠:١٧٩)

إذ أن من المستحيل أن يكون لشرب الخمرة والحزن مكان واحد ، كما لايمكن أن يسكن النغم مع الغم في مكان واحد فيقول :

فَمَا سَكَنَت والهَمُّ ، يوماً بِموضعٍ كذلكَ لَم يسكن ، مَعَ النَغَم ، الغَمُّ

(ابن فارض،١٩٨٠،١٨٢)

البصيرة والوعي :

إن الخمر في فكر هذين الشاعرين ، هو خمر الوعي والبصيرة ، فحافظ مثلا يريد أن يُعطى خمراً من المعرفة لمساعدته على رؤية الحقيقة فيقول :

مي بده تا دممت اگهي از سر قضا كه روي كه شدم عاشق واز بوي كه مست

(حافظ،١٣٦٠:٥٨)

فيما يصور ابن الفارض بحكمة أيضا دور النبيذ في البصيرة فيقول :

ولَو جُلِيت سِرًا علي أكمهٍ غدا بصيراً ومِن راووقِها تَسمَعُ الصُّمُّ

(ابن الفارض،١٩٨٠:١٨٠)

التأثير الحيوي للخمر في نظر الشاعرين :

لقد سعى حافظ وأراد أن تبقى الخمرة رفيقا له وحليفاً حتى الثواني الأخيرة من حياته ، فضلا عن أمنياته أن تبقى كذلك حتى بعد الموت فيقول في ذلك :

مهل كه روز وفاتم به خاك بس‌پارند مرا به ميكده بر در خم شراب انداز

(حافظ،١٣٦٢:٥٣)

ويعتقد ابن فارض أيضاً أنه إذا رُشت تربة ميت بالخمرة فإن الروح ستعود اليه حتما وينتعش جسمه من تلك الخمرة وتأثيرها ، فيقول :

وَلَـو نَضِـحُوا مِنهـا ثَـرَي قَـبرِ مَيـتٍ لَعـادَت اليـهِ الـرُّوحُ،وانتَعشَ الجسـمُ

(ابن الفارض،١٩٨٠،١٣٧)

النتيجة

إن استخدام الكلمات مثل ، الشراب ، والسكر وغمر، وما إلى ذلك في ديوان ابن الفارض وحافظ الشيرازي ، يشير إلى تشابه كبير بين قصائد الشاعرين ، مع فارق في أن تشتت هذه التفسيرات أعلى في ديوان حافظ من حيث وجود القليل من الغزل في ديوانه والتي لم يرد ذكر الكلمات من قبيل سكر وغمر والنبيذ ، وفي نفس الوقت يطرح ابن الفارض كل آرائه حول الشراب والخمر والسكر في قصيدتيه التائية والخمرية ، ويقدّم الشاعران النبيذ كجوهر للحياة البشرية ، لكن حافظ يربط المفهوم الغامض بالمعنى الظاهر والأرضي الذي يجعل من الصعب على القارئ أن يتعرف على الأمرين ، لكن الخمر في نظر ابن الفارض لم يكن أبداً أداة أساسية للتعامل مع الملذات غير الملموسة والرغبة في العالم ، وهذا يجعل من السهل فهم الطبيعة الصوفية للخمر من أرضه ، وهكذا يمكن أن تكون الخمريات عند ابن الفارض من قبيل الخمريات عند المتصوفة .

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن الفارض، ابوحفص شرف الدين عمر بن مرشدالحموي ،(١٩٨٠)، ديوان ، تحقيق وشرح فوزي عطوي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار صعب.

٢- انوار ، امير محمود ، (١٣٨٠) ، سير شعر و ادب و مقايسه افكار سعدي و المتنبي ، تهران.

٣- حافظ ، خواجه شمس الدين ، ١٣٦٢ ، ديوان ، چاپ سوم. تهران . انتشارات زرين.
٤- دكتر محمد غنيمي هلال ، الحياه العاطفيه بين العذريه والصوفيه ، دار النهضه مصر للطباعه والنشر، الفجاله ، القاهره
٥- راثي ، محسن ، (١٣٨١) ، مضامين مشترك ميان حافظ و ابن فارض ، مجله دانشگاه ادبيات وعلوم انساني دانشگاه تهران ، دوره ١٨٣ ، ص١٤٠.
٦- زهره وند ، سعيد ، (١٣٩٠) ،عشق و مستي در شعر ابن فارض وحافظ ، فصلنامه ادبيات تطبيقي ، دانشگاه رازي كرمانشاه ، سال اول ، شماره ٣ ، ص ٥١ .
٧- نصر اصفهاني ، محمدرضا ، (١٣٨١) ، كرشمه معشوقي در ديوان حافظ و ابن فارض ، تهران ، دانشگاه تربيت مدرس .